

المعالم الأثرية في تلمسان في كتابات المستشرق إميل جانيي (دراسة تاريخية)

The archaeological monuments of Tlemcen in the writings of the orientalist Emile Janier (a historical study)

د. فاطمة الزهراء نجرأوي، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الانسان والتاريخ، تلمسان (الجزائر)،

nedjraouifz@gmail.com

د. ابن اباجي أمينة (بوشناق)*، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الانسان والتاريخ، تلمسان (الجزائر)،

bouchenakamina@yahoo.fr

تاريخ النشر 30 جوان 2024

تاريخ القبول: 18/ 5/ 2024

تاريخ الاستلام: 31/ 03/ 2024

ملخص:

يتطرق هذا البحث إلى ذكر بعض المعالم الأثرية في تلمسان والتي تناولها المستشرق الفرنسي إميل جانيي *Emile Janier* في مقالاته المذكورة في كتابين جماعيين. تشمل هذه الدراسة ثلاث مقالات؛ يخص المقال الأول 'النقوش العربية لندرومة'، حيث يشير المؤلف إلى عراقة وقدم هذه المنطقة، مع ذكر مساجدها وأضرحتها. أما المقال الثاني، فهو حول 'قرية عين الحوت'، إذ يصف المستشرق سكان المنطقة مع عاداتهم وتقاليدهم، كما يذكر المساجد الموجودة بالقرية، والثالث يتضمن 'المعلم الأثري المريني منصورة'، وهنا يتحدث الكاتب عن تاريخ منصورة وأهم الممالك التي مرت بتلمسان؛ وآخرها المملكة المرينية والتي أسست 'منصورة'.

الكلمات المفتاحية: المستشرق الفرنسي إميل جانيي، التاريخ، المعالم الأثرية، تلمسان.

Abstract:

This research deals with some archaeological monuments in Tlemcen, which were tackled by the French orientalist Emile Janier in his articles mentioned in two collective books. The current study treats three articles ; The first article concerns 'the Arabic inscriptions of Nedroma', where the author refers to the antiquity of this region, mentioning its mosques and shrines. The second one is about 'Ain al-Hout Village', as the orientalist describes the residents of the region with their customs and traditions, he also mentions the mosques in the village. The third article includes the 'Marinid archaeological landmark Mansoura', the writer here, tells us about the history of Mansoura and the most important kingdoms that passed through Tlemcen. The last of which is the Marinid Kingdom, which founded 'Mansoura'.

Keywords: the French orientalist Emile Janier, History, the archeological monuments, Tlemcen.

1. مقدمة:

يعتبر الاستشراق ظاهرة فكرية نشأت عند الغربيين، وهي تهم بالدراسات والأبحاث الخاصة بالشرق، أي العرب والمسلمين. وهو أسلوب وطريقة للسيطرة على الشعوب المحتلة والقضاء على ممتلكاتهم.

اختلف الباحثون في نشأة الاستشراق وفي تحديد سنة معينة، أو فترة معينة لنشأتها فيرى البعض أن الاستشراق ظهر مع ظهور الإسلام ولعل اهتمام النصارى بهذا الدين يعود إلى هجرة المسلمين إلى الحبشة، وتحول النجاشي ملك الحبشة من النصرانية إلى الإسلام، وكانت الفرصة الثانية لتعرف النصارى على الإسلام حينما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة إلى ملوك خارج الجزيرة العربية يدعوهم إلى الإسلام. (خشاب الصادق، 2011: 40)

أما الاستشراق الفرنسي في الجزائر، فهو تيار إيديولوجي أنشأته المدرسة الفرنسية الاستعمارية، حيث استطاعت من خلاله التقرب والتعرف على المجتمع الجزائري من حيث اللغة والدين والعادات والتقاليد، فهو إذا تمهيد للاستعمار الذي توغل في حياة الجزائريين وعمل على طمس حضارتهم وهويتهم. ومن بين المستشرقين الفرنسيين في الجزائر، نذكر: أوغست كور، وإدموند دوتي، وإدموند ديستايينج، والأخوين ويليام وجورج مارسيه، وألفريد بيل وإميل جانبي، الذين انضموا إلى مدرسة تلمسان في مطلع القرن العشرين. أنجز هؤلاء المستشرقون عدة أعمال وأبحاث تناولت الجانب اللغوي والاجتماعي والثقافي والديني والتاريخي، ومنه موضوع مقالنا حول المعالم الأثرية في تلمسان، بدءاً بالنقوش العربية في ندرومة، ثم قرية عين الحوت والمعلم الأثري المبريني منصور من خلال ما كتبه المستشرق الفرنسي إميل جانبي، بعد الاطلاع على نبذة عن حياة المؤلف.

2. نبذة عن حياة وعمل المستشرق إميل جانبي:

ولد المستشرق الفرنسي إميل فيكتور جانبي في 25 ديسمبر 1909، في مدينة دام ماري (أورني) بفرنسا وتوفي في تلمسان (الجزائر) في 12 يناير 1958. ناشط ومفكر كاثوليكي، منشط للفرق الاجتماعية في شمال إفريقيا القائمة في ليون وباريس في الثلاثينيات، وكان آخر مدير معين بما يعرف المدرسة بتلمسان (1945-1951) كما كان مؤلفاً للعديد من الدراسات في علم الآثار والنقوش والتاريخ وعلم الاجتماع في كل من تلمسان ووهران، وكانت له كذلك مقالات سياسية نُشرت بين عامي 1946 و 1949 تحت اسم مستعار بول إميل ساراسين. (Emile Janier, 1958 :77)

لقد قام المستشرق بعدة مهام عسكرية وبحثية حيث كان ضابط احتياطي في الفوج السابع للمناوشين الجزائريين في قسنطينة، وكان قد أدى خدمته العسكرية عام 1935.

(Journal officiel de la République française, 2 mars 1937, p. 2614)

كما أدى عدة مهام في تلمسان، ففي 1940 تم تعيينه أستاذاً للآداب (الفرنسية واللاتينية) في مدرسة تلمسان. في عام 1943، استخلف إميل جانبي منصب فيليب مارس، في إدارة مدرسة تلمسان. وكان هذا من المناصب المهمة التي شغلها المؤلف

(Alain Messaoudi, 1780-1930)

فمن أهم أعماله العلمية التي كان يقوم بها إميل جانبي في هذه الفترة أي ما بين سنة 1943 إلى سنة 1951، هو النشر بانتظام في المجلة الأفريقية وفي مجلة الأعمال لتاريخ المجتمع الجزائري، وكذلك في مجلة المجتمع والجغرافيا وعلم الآثار في وهران من عام

1944 إلى عام 1950. (Alfred Bel, 1911 : 160-170)

في 1942، أجرى عملاً ميدانياً حول "الصناعات الأصلية" في سلسلة جبال ترارة، في ندرومة.

(Emile Janier, 1909-1958) تولى رئاسة جمعية أصدقاء تلمسان القديمة سنة 1946، التي أنشأها ألفريد بيل قبل عشر سنوات لعقد المؤتمر الثاني لاتحاد الجمعيات العلمية في شمال إفريقيا، التي تهدف إلى "جمع وإبراز الحقائق والوثائق الخاصة بدراسة منطقة تلمسان وضواحيها، وكذا سكانها، في مجال الجغرافيا وعصور ما قبل التاريخ وعلم الآثار. والتاريخ وعلم الأعراق البشرية وعلم الاجتماع والعلوم واللغة والأدب والفنون. (3 : Emile Janier, 1953-1954)

كما قام بعمل ميداني آخر حول بصمات اللغة الأمازيغية في منطقة تلمسان لقبيلة بني بوسعيد على الحدود المغربية بالقرب من مغنية، إلا أنه لم يتمكن من إتمامه، (Emile Janier, 1974: 21) رغم أن المؤلف إدموند ديستاينج قد سبقه في هذه الدراسة. (Edmond Destaing, 1914)

فكرس إميل جانبيه السنوات الأخيرة من حياته للبحث الأثري والتاريخي، مع التركيز على كل من التاريخ الإسلامي لتلمسان وآثار المنطقة في عصور ما قبل التاريخ. فبعد تعيينه أميناً لمتحف تلمسان بعد وفاة الكاتب ألفريد بل، في عام 1949 تولى إدارة المنطقة الأثرية الجزائرية واستضاف المؤتمر الأفريقي الثاني لما قبل التاريخ سنة 1952.

كما قام بالعديد من الحفريات والبحوث في منطقة تلمسان مثل: كهوف أوزيدان وفي موقع بحيرة كارار، وصخرة المويلح، وجزيرة رشقون، وفي أغادير، وعلى ضفاف تافنة في مكان يسمى داموس، إلا أن الحرب أبطأت عمله. (Nora Yahiaoui, 2003)

فكان يدعو إلى حل مشاكل التعايش بين الأوروبيين والمسلمين من خلال العمل الخيري الذي يأخذ في الاعتبار حساب تطلعات الشباب المسلم نحو نهضة ثقافية، ويدافع بشكل خاص عن تدريس اللغة العربية، بعدما أرادوا منع هذا المشروع. (Paul-Émile Sarrafin, 1949 : 160)

أرهب إميل جانبي بسبب التوترات المتزايدة الناتجة عن اتساع نطاق الصراع الجزائري بين المجتمعات الأوروبية والمسلمة (Emile Janier, 1909-1958)، توفي في 12 يناير 1958 بجلطة دماغية، بعد أيام قليلة من عيد ميلاده الثامن والأربعين. ودفن في المقبرة المسيحية بمدينة تلمسان. (Xavier Yacono, 1969)

من بين عدة مقالات حول منطقة تلمسان الصادرة في كتاب:

«Bulletin de la société (Les Amis du vieux Tlemcen) 1956»

سنتطرق إلى مقالين للمستشرق إميل جانبي، حول عين الحوت وحول المنصورة. كما سنتناول مقاله حول النقوش العربية لندرومة الصادر في كتاب:

« Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran, 1947 »

3. النقوش العربية لندرومة:

لقد أقام المؤلف بضعة أيام في ندرومة، وقد وصفها بمركز ديني، واقتصادي وإداري لاتحاد قبائل 'ترارة'، وهي مدينة جد قديمة، حيث كان البكري، المختص في التاريخ والجغرافيا، هو أول من أطلق عليها هذا الاسم سنة 1068. كان عدد سكانها المسلمين يبلغ 8000 في تلك الفترة، كما كانت تحتوي على 12 مسجدا وهم: المسجد الكبير، مسجد القدارين، مسجد الحدادين، مسجد لالة العليا، مسجد سيدي يحيى، مسجد سيدي بوعلي، مسجد سيدي بلغيت، مسجد سيدي سياج، مسجد سيدي منديل، مسجد سيدي عبد الرحمن، مسجد رية، ومسجد سعدان. ليست هذه المساجد كلها جد قديمة، إلا البعض منها. أشار المؤلف إلى أن المستشرق روني باسي René Basset نشر مقال، ذكر فيه 7 نقوش لبعض هذه المساجد والأضرحة في سنة 1901، مرتبة حسب التسلسل الزمني وهي:

- 1/نقش على منبر المسجد الكبير (حوالي 1090م)
- 2/نقش على حائط صومعة المسجد الكبير (1348م)
- 3/شاهدة جنازية لسي عبد الله بن عبد الرحمن اليعقوبي، في قبة السي أحمد البجاي (1689م)
- 4/شاهدة جنازية للمسعود الهبري الشادلي في مسجد سيدي بوعلي (1754م)
- 5/شاهدة جنازية للهامل بن أحمد الهبري (في نفس المسجد السابق): القطعة التي كُتِبَ عليها التاريخ مكسورة.
- 6/شاهدة جنازية للحاج محمد بن عمر الفاسي، في قبة السي أحمد البجاي (1819م)
- 7/شاهدة جنازية للشريف حساني أبو بكر بن محمد الشادلي في مسجد القدارين (1858م)

(Emile Janier, 1946 :23-24) (René Basset, 1901 : 22-27)

أربعة من هذه النقوش أعاد كتابتها روني باسي René Basset حيث تسمح بتاريخ المعلم وتحديد موقعه، والثلاثة الأخرى، يصعب قراءتها، وتم إعادة كتابتها مع وجود بعض المقاطع الناقصة مما جعلها لا تفيد بحوث المؤرخين وعلماء الآثار. في 1930، قام المستشرق جورج مارسيس Georges Marçais بتعديل نص لأحد النقوش المتواجدة في منبر المسجد الكبير. ولكن بعد تفحص النص بدقة قام المؤلف بإعادة تركيبه كاملا. من بين نصوص هذه النقوش، نذكر ما يلي (Emile Janier, 1946 : 26) :

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد

بنو هذا الصامع اهل ندرومة

بأموالهم وأنفسهم كل احتساب

لله وانبتت في خمسين يوم

وبناها محمد بن عبد الحق بن عبد

الرحمن الشيصي في عام تسع وربعين

وسبع مائة

رحمة الله أجمعين

تمكّن هذه النقوش من تتبع تاريخ هذه المدينة الصغيرة تحت حكم المرابطين، ثم عبد الواد، وأخيرا الأتراك. كما لها أهمية كبيرة

في دراسة الماضي المسلم لندرومة. (Emile Janier, 1946 : 30)



الصورة (2): نقش على صومعة الزيانين



الصورة (1): نقش في المسجد الكبير

للمسجد الكبير المرابطييندرومة²المرابطييندرومة¹

4. قرية عين الحوت:

من خلال المقال حول قرية 'عين الحوت' نلاحظ أن المستشرق إميل جانيي قد بحث في كل الجوانب التي تخص المجتمع، منها التاريخية، والاجتماعية، والاقتصادية والدينية، والسياسية، وأخرى. وهذا ما كان يهتم به كل المستشرقين للتمكن من تضعيف الشعوب والاستيلاء على المنطقة. فقد بدأ نصه بتقديم مختصرا تاريخي وجغرافي لعين الحوت، موضحا أن هذه القرية الصغيرة تقع على بعد 8 كم من شمال تلمسان وهي تنقسم إلى تجمعين من السكان؛ الأول يتمركز في الشرق حول أضرحة الأولياء الصالحين وعين مائية يستعملها السكان. والتجمع الثاني والذي يدعى 'تراليمات' 'Tralimet' يقع في الغرب ويسكنه خاصة عمال زراعيون.

(Emile Janier, 1956 : 66)

وتشتهر القرية بأولياءها الصالحين، فقد ذكر الكاتب لوي أبادي (Louie Abadi, 1994) أنه يوجد بها ضريحين لواليين؛ سيدي عبد الله بن منصور والذي بنيت قبة ضريحه في نصف القرن الخامس عشر، وأما قبة سيدي محمد بن علي فقد بنيت حين وفاته سنة 1755. وأشار الكاتب جورج مارسسي (George Marçais, 1950) أن هذان الواليان من سلالة سليمان عليه السلام. وتعود تسمية قرية عين الحوت نسبة إلى العين الموجودة فيها، والتي تروي أسطورة ذكرها الكثير من المؤلفين مع بعض الاختلافات، حيث كانت هناك فتاة وهي أخت الأميرة شميصة، ذهبت لتقطف الأزهار ذات يوم من أيام الربيع في الضاحية القريبة من تلمسان، فضاغت. رآها شاب فلفتفت انتباهه وحاول الاقتراب منها، غير أنها خافت، فأخذت تركد حتي وصلت إلى غدير، ولم يكن لها حل سوى الغوص داخله بعد أن دعت بالنجاة من ذاك الشاب، فتحولت إلى حوت.

(FardehebDjilali, 1955: 86-87)

يذكر المؤلف أيضا أن سكان المنطقة كانوا يعتمدون على الزراعة وتربية المواشي، حيث كانت حقولهم ومزارعهم تسقى بماء 'شعبة الحرة' 'Chabet-el-Horra' وواد سكاك. وكانت العائلات الثرية تملك حوالي 5 إلى 10 هكتارات من الأراضي. لم يكن باستطاعة الأوروبيين (الفرنسيين) أن يقيموا بالمنطقة لأن الأراضي كان يملكها السكان والعمل الوحيد الذي كان يتوفر هو الفلاحة التي كان يمارسها السكان أيضا.

كانت ظروف المعيشة صعبة في عين الحوت، إلى درجة أنه لا يتحمل المعيشة إلا الناشئين بها. ولم تتحسن الحياة الاقتصادية قليلا إلا بعد بإنشاء بعض المؤسسات العامة. وكانت التجارة قليلة في القرية، مع وجود بعض محلات المواد الغذائية العامة، حمامين، ثلاث أفران تقليدية لطهي الخبز للعائلات المقيمة، لم يكن هناك مخبزة أوربية. كما أنه لم تكن هناك آبار مياه في المنطقة، وكان السكان يضطرون إلى جلب الماء من العين المقدسة.

كان هناك بناء إداري يدعى غرفة التشاور 'salle de consultation' والذي كان يستعمل أيضا كمكتب للحالة المدنية، ومكان ملاقة لكل احتياجات الحياة البلدية، كما كان هناك طبيب يذهب من تلمسان إلى عين الحوت مرتين في كل شهر. كانت المنطقة تفتقر أبسط وسائل العيش، إذ تم تركيب الكهرباء في المنطقة حتى في سنة 1953، وتم إقامة كشك الهاتف، وفي سنة

¹ : الجمعية الموحدية بندرومة، <https://elmouahidia.dz/std.php?lg=&id=4>

² : الجمعية الموحدية بندرومة، <https://elmouahidia.dz/std.php?lg=&id=4>

1954 تم وضع حافلة لنقل الركاب بين عين الحوت وتلمسان. فرغم هذا التطور، بقي سكان عين الحوت دائما يفتقرون بعض المواد خاصة الثانوية والتي كانوا يشترونها من تلمسان. (Emile Janier, 1956 : 66-68)

يواصل المستشرق حديثه ويبين أن الحياة الاجتماعية والسياسية لسكان عين الحوت هي نفسها عند سكان تلمسان. فكانت الأعياد الدينية، مثل عيد الفطر وعيد الأضحى أعياد شعبية نظرا للعدد الكبير للزوار القادمين إلى عين الحوت للزيارة أضرحة الأولياء الصالحين، كما يجتمع شيوخ الزوايا الدينية لمدينة تلمسان في اليوم الثالث لهذه الأعياد للذكر والمدائح الدينية ويأخذون الأطفال إلى أضرحة الأولياء. ولكن، حسب المؤلف، بدأت هذه العادة تنقص في الخمسينات مع بداية الاستعمار.

كانت عين الحوت تابعة لبلدية تلمسان، لكن لاحظ المؤلف أنه لم يكن لها أي مؤسسة سياسية، فافترض أن كل المشاكل والمسائل القضائية والسياسية كانت تُحلُّ من قبل الأولياء الصالحين أو ما يسمون بالمرابطين

'les marabouts'. كانت المنطقة في الخمسينات تحتوي على ثلاث مساجد؛ مسجد وسط القرية وهو أقدمهم يعود تاريخ تأسيسه إلى القرن 11، مسجد في شرق القرية والذي يحتوي على بقايا سيدي عبد الله بن منصور، كما هو موضح على الصورة (3) ويحكى أن تأسيسه يعود إلى القرن 16، وفي الجهة الشمالية يقع مسجد سيدي بن علي محمد مع ضريحه والذي بُنيَ خلال القرن 18.



الصورة (3): ضريح سيدي عبد الله بن منصور³

ويختتم المؤلف مقاله حول عين الحوت بجولة إلى منابع مائية حارة تدعى "تحمّاميت" 'Tahammamit' حيث يصف لنا المناظر الطبيعية الخلابة لهذا الموقع رغم مساره الصعب. كان هذا المنبع يتسع لحوالي 20 شخصا للاستحمام اذ تبلغ درجة حرارته 32°. كانت تحماميت من بين الأماكن القليلة التي كان يذهب إليها سكان المنطقة وكذا سكان تلمسان للترهة والاستحمام.

³<https://ar.wikipedia.org/wiki/>

لقد وصف لنا المؤلف في هذا المقال منطقة عين الحوت، وتاريخها، وسكانها من الجوانب الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية وغيرها. أما المقال الموالي والذي يخص تاريخ منصور، يتطرق المستشرق إلى وصف كل المراحل التاريخية التي مرت بها منصور وبنائها كما يركز أيضا، وبدقة، على الجانب العمراني لهذه الآثار التاريخية المرينية. (Emile Janier, 1956 : 68-72)

5. المعلم الأثري المريني منصور:

يذكر المستشرق إميل جانيني **Emile Janier** أن تلمسان قد عرفت أربع ممالك، مملكة الإدريسيين، حيث استولى إدريس الأول في عام 790 على تلمسان، والتي كانت تدعى أقادير في تلك الفترة. ثم تليها مملكة المرابطيين والتي حكمت تلمسان من عام 1069 إلى عام 1144، وكان يترأسها يوسف بن تاشفين، حيث أنشأ في غرب جدران أقادير، مدينة جديدة أطلق عليها اسم 'تاقرارت' **Tagrart** وبعدها جاءت مملكة الموحدون وعلى رأسها عبد المومن حيث دامت من 83 سنة من 1144 إلى 1227. تميزت هذه الفترة بعدة غزوات، كالغزو الإسباني. ثم مملكة الزيانيين، والتي تسمى أيضا مملكة بنو عبد الواد وهي مملكة بربرية، قادها ياغمراسن بن زيان من قبيلة زناتة البربرية. تمثل مملكة الزيانيين أكبر مملكة من حيث مدة الحكم ومن حيث أهمية الأعمال الفنية التي زينت المدينة. ترأست هذه المملكة من عام 1227 إلى 1554، مع انقطاع دام إحدى عشر 11 سنة، من عام 1337 إلى 1348 والذي يتوافق مع حكم المرينيين. وعندما وقعت تلمسان تحت قبضة الاحتلال التركي، انتهى حكم الزيانيين سنة 1554.

(Emile Janier, 1956: 112-135)

ونظرا للموقع الاستراتيجي لتلمسان فإن سكانها كانوا دائما مهددين. كما يذكر جورج مارسى أن سكان المدينة القدماء كانوا دائما يرددون القول المشهور: "كانت تلمسان تحتوي على سبعة جدران، سبعة أسوار، وكان سكانها لا ينامون نهارا ولا ليلا." وهذا ما كان يدل على التهديد الدائم لتلمسان، عاصمة المغرب الأوسط، والقلق الذي كانت تعيشه. (Georges Marçais, 1950)

بدأ إنشاء منصور في سنة 1299 من قبل المرينيين حيث كانت عاصمتهم فاس، وكانت تلمسان في ذلك الوقت تحت حكم الزيانيين. بعد سقوط الإمبراطورية الموحدية، حيث لم يعد بإمكانها حماية كل أراضي شمال إفريقيا الشاسعة، تفرعت منها أربع إمبراطوريات؛ الحفصية التي كانت تحكم تونس، الزيانية التي كانت تحكم تلمسان، المرينية كانت تحكم فاس، وسلالة بني وطاس التي كانت تحكم الريف المغربي. كان لكل من هذه الإمبراطوريات الرغبة والطموح لكسب التزاهة التي كانت تملكها الإمبراطورية الموحدية. ولهذا اتجه أبو يعقوب يوسف، السلطان المريني لفاس، نحو موقع منصور لوضع حصار ضد تلمسان حيث دام 8 سنوات من عام 1299 إلى 1307.

(Emile Janier, 1956 : 112-135)

عندما دخل أبو يعقوب يوسف تلمسان في سنة 1299، بهدف محاصرة المدينة، استقر بالهضبة التي تمتد على الغرب بين المدينة ورقبة اليهودي **col du juif**، حيث كان يعتبر المرينيون هذا المكان استراتيجيا لمواجهة عاصمة الزيانيين. كان يتطلب الموقع الجغرافي لتلمسان أن يكون هذا المعسكر في الجهة الغربية، لكي لا يكون في الأسفل، ولكي يمنح للمستعمرين مراقبة كل ما كان يجري في المدينة. لقد أطلق أبو يعقوب يوسف على المكان اسم "المعسكر المنتصر" أو 'الحلة المنصورة' **el-mahalla el-mansouraa**. عندما حل فصل الشتاء على المدينة، قرر أبو يعقوب يوسف إنشاء بنايات داخل المعسكر. أنشأ بيتا ملكيا، يقابله مسجدا له ولجنوده، ومباني مخصصة للمسؤولين الملكيين، ومباني خاصة للجنود، ومستشفيات، وحمامات، وفنادق. كما أحيطت كل هذه البنايات بجدار يحميها من العدو. ولكن لم يبق أي أثر لهذا الجدار الآن. بعد مرور عامين، في عام 1302 قام أبو يعقوب يوسف

ببناء أسوارا بالتربة المدكوكة والتي لا تزال موجودة حتى الآن. فمذ سنة 1302 لم تعد منصورة مخيما عسكريا فحسب، بل أصبحت مدينة (Emile Janier, 1956 : 118)، وأطلق عليها المؤرخون اسم "تلمسان الجديدة" 'Tlemcen la neuve' لمعارضة عاصمة الزيانيين.

ولكن أبو يعقوب كان يعلم أن الحصار سيكون صعبا، ولهذا لم يكن يريد إنشاء عاصمة إمبراطورية في موقع معسكره، كما أن المرينيين كانت لهم عاصمة أنداك وهي فاس.

كانت نهاية الحصار مأسوية بالنسبة للمرينيين، حيث قُتلَ السلطان أبو يعقوب يوسف في 1307. وبعدها رفع الحصار وعاش الزيانيون في أمان حوالي ثلاثين سنة.

وبعد موت أبي يعقوب، كان حفيذه أبو تابت عمر يريد الاستلاء على الإرث السياسي لجده، فأسرع إلى فاس عاصمة المرينيين، وقبل أن يغادر تلمسان، وضع اتفاقية سلام مع السلطان حمو I، الذي قام بإخلاء منصورة كلها.

في عام 1335، أراد حاكم فاس، أبو الحسن أن يعيد الحصار على تلمسان، فاسقر مرة أخرى بمنصورة، استعاد الآثار الذي بقي من الحصار الأول، وأعلن حرب استنزاف على بني عبد الواد، حيث منع اللوازم الغذائية على السكان، فعمت المجاعة في المدينة. وبعد عامين من الحصار في سنة 1337 هُزم بنو عبد الواد، ودخل الجنود المرينيين منتصرين إلى تلمسان، بعد أن حاربهم حاكم بني عبد الواد، أبو تاشفين الأول، بكل شجاعة، حتى مات مع أباؤه الثلاث في باب قلعة المشور وهو يحاول منع الجنود المرينيين الدخول إلى القصر.

رغم أن المرينيين حكموا كل منطقة تلمسان، غير أنهم لم يقيموا فيها. جعل أبو الحسن معسكره المدينة الرئيسية ومقر حكومته في المغرب الأوسط. أعاد بناء كل المعالم الأثرية التي شُيّدت من قبل من طرف جده أبو يعقوب يوسف. حيث يحمل المسجد أثر، والذي رغم طمسه، يدل على أن أبو الحسن قام بإعادة بناءه. وفي موقع القصر الملكي، بنى أبو الحسن سنة 1344 قصر النصر والذي كان يدعى بدار الفتح. كانت هذه الأخيرة تمثل مجموعة من البنايات فاخرة، محيطة بجدار، بيوت المياه، ومخازن مظلمة. لقد جلب أبو الحسن العديد من السكان إلى المدينة التي أعاد إنشاءها. ولكن الحكم المريني لم يدم في تلمسان إلا 11 عاما من 1337 إلى 1348. حيث أخذ الحكم بنو عبد الواد مرة أخرى (Emile Janier, 1956 : 112-135)

وكان للمنصورة أربعة أبواب حسبما ذكر الإمام ابن مرزوق الخطيب في كتابه: "المسند الصحيح الحسن" باب فاس غربا وباب هنين شمالا وباب المجاز شرقا وباب خارجي كان يصل القصة بالفحص.

وكان قرب كل باب من هذه الأبواب الأربعة مسجد وكان الجامع الأعظم في وسط المدينة وكان له ثلاثة عشر باب منها أربعة شرقا وأربعة غربا وإثنان قبلة وثلاثة شمالا واحد تحت المئذنة وهي ميزة خاصة بهذا الجامع، وإثنان عن يمينه ويساره، كان لهذا الجامع قاعة صلاة تتألف من ثلاثة عشر رواقا ومن حوض مربع في وسطه حوض للوضوء. وأما المنبر فقد أجمع الصناع يومئذ أنه لم يعمل يومئذ مثله في المعمور، ونقشت عدة قطع خشبية فيقال عنها إذا رأيتها رأيت العجب.

من مميزات المسجد مئذنة شامخة، مبنية بالحجارة الصلبة، تحتوي على طبقتين، الطبقة العليا بها أعمدة رشيقة كتلك المتواجدة في المآذن الأندلسية، والطبقة السفلى التي تحتوي على أربعة أنواع من الزخارف، كأنها رتاج مقوس يحيط به إطار مؤلف من حفريات، فالحفريات الأولى فيها زخرف يشتمل خطوط أندلسية ذكر فيها اسم مشيد هذا الجامع وتاريخ تشييده، فالحفريتين الثانية والثالثة زخرفت كل واحدة منهما بقوس ذي رؤوس مسننة أما الحفريات الرابعة فهي عبارة عن قوس يرتاح على عمودين. (الحاج محمد بن رمضان شاوش، 1995). فيما يلي صورة توضح المعلم الأثري لمنصورة.



الصورة (4): المعلم الأثري منصورة⁴

6. خاتمة:

لقد تطرق المستشرق في هذا المقال إلى تاريخ ثلاثة مناطق في تلمسان، ندرومة، قرية عين الحوت والمعلم الأثري لمنصورة. ففي الأول تناول النقوش مع ذكرها وترجمتها إلى الفرنسية، وفي الثاني، ركز على الجانب التاريخي، والاجتماعي، والاقتصادي، والديني لمنطقة عين الحوت، حيث ذكر أصل التسمية، وأضرحة الأولياء الصالحين، والحياة الاجتماعية والسياسية التي كان يعيشها السكان إبان الاستعمار. أما بالنسبة لمقاله حول منصورة، فقد خصصه للجانب التاريخي، فذكر الممالك الأربع التي مرت بها، مملكة الإدريسيين، ومملكة المرابطين، ومملكة الموحيدين، ومملكة الزيانيين، ثم وصف الجانب الأثري للمكان بكل التفاصيل، والذي يمثل الجزء الأكبر لمقاله، بذكره للأبواب الأربع للمنصورة وأطلالها والمساجد المتعددة وأضخمها الجامع الكبير والذي وصفه بالقصر. إن المستشرق الفرنسي إميل جانيي، بالرغم من أنه كان يمثل المستعمر الفرنسي إلا أنه كان ضد الاستعمار وأشكال الاضطهاد وكان يعمل على شمل الجزائريين والفرنسيين وحتى الدفاع والاعتراف باللغة العربية لتدريسها.

7. قائمة المراجع:

1. الحاج محمد بن رمضان شاوش - باقة الوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص 273-274
2. خشاب الصادق، الاستشراق والاسلام من خلال شخصية كرسيتيان سنوكهورخرونيه، مجلة الانسان والمجتمع، العدد 02، 2011، ص ص. 39-45.
3. Alain Messaoudi, Les arabisants et la France coloniale. Savants, conseillers, médiateurs (1780-1930), Lyon, ENS Éditions, 2015.

⁴ <https://www.a3d-dz.com/index.php?page=projet-du-site-archeologique-d-el-masourah-tlemcen&id=1814>

4. Alfred Bel, « Note sur une inscription de 1846, figurant sur le pont de Négrier (Tlemcen) », Revue Africaine', vol. 55, 1911, pp. 160-170.
5. Edmond Destaing, Dictionnaire français-berbère, dialecte des Beni Snous, Paris, Leroux, 1914.
6. Émile Janier, « Les industries indigènes de la région des Trara », Revue Africaine, vol. 88, 1944, pp. 43-66.
7. Émile Janier, « Les saints musulmans tlemcénien », Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran, vol. 68, 1947.
8. Émile Janier, « Préface », Bulletin de la Société Les Amis du Vieux Tlemcen, no 3, 1953-1954.
9. Emile Janier, Inscriptions Arabes de Nédroma, Bulletin de la société de Géographie et d'Archéologie de la province d'Oran, 1946. pp. 23-30.
10. Émile Janier, « Le village d'Ain-el-Hout », et « L'enceinte mérinide de Mansoura. » Bulletin de la Société Les Amis du Vieux Tlemcen, imp. Des Beaux Arts, Oran, 1956. pp. 66-72 – 112 – 135.
11. Sur la vie et l'œuvre d'Émile Janier, voir « Émile Janier 1909-1958 », L'Afrique et l'Asie. Revue politique, sociale et économique et Bulletins des anciens du CHEAM, no 42, 1958.
12. Journal officiel de la République française, 2 mars 1937.
13. Fardeheb Djilali, La légende de Choumissa, Bulletin des Amis du Vieux Tlemcen, 1955, pp. 86-87.
14. Georges Marçais- Les villes d'Art célèbres Tlemcen- Evreux Imprimerie Herissey 1950.
15. Louis Abadie-Tlemcen au passé retrouvé, éditions Jacques Gandini Paris, 1994.
16. Nora Yahiaoui, Les Confins occidentaux de la Maurétanie Césarienne, thèse de doctorat en archéologie, École Pratique des Hautes Études, 2003.
17. Paul-Émile Sarrasin, La Crise algérienne, éditions du Cerf, 1949.
18. René Basset, Nédromah et les Traras, Paris, Leroux, 1901, XVII, 238 pages.
19. Xavier Yacono, Histoire de la colonisation française, Paris, Presses Universitaires de France, coll. « QueSais-je ? », 1969.
20. <https://elmouahidia.dz/std.php?lg=&id=4>
21. <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
22. <https://www.a3d-dz.com/index.php?page=projet-du-site-archeologique-d-el-masourah-tlemcen&id=1814>

